على الغاياتى ودوره فى الحركة الوطنية

د. حسن أحمد يوسف نصار(*)

كفاحه فى صفوف الحزب الوطنى :

ولد (على الغاياتى) فى أسرة متوسطة الحال فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٨٥ بمدينة دمياط[١] ، والتحق بكتاب القرية قبل أن يتجاوز السادسة من عمره وما أن بلغ الثامنة حتى كان قد حفظ القرآن الكريم ثم أرسله أبوه إلى المعهد الدينى فى (جامع البحر) ليتلقى علوم الدين وأصول اللغة والبلاغة[٢] ، وتفتحت مدارك على الغاياتى مع بداية القرن العشرين على فظائع البريطانيين مع أن الاحتلال بدأ يؤثر فى الأمة تأثيراً ملؤه اليأس والقنوط ألا أن فترة البعث الوطنى جاءت على يد مصطفى كامل كانت تدعو إلى الحرية والاستقلال ، وبدأت دعوته غريبة على الأذهان ، إذ كيف تقوم حركة وطنية لاستخلاص الاستقلال من يد أقوى الدول نفوذا. ولكن وطنية مصطفى كامل كانت أقوى من الجيل الذى ظهر فيه ، فكانت رسالته جهاد من أجل الحرية والاستقلال بعد الاستسلام للاحتلال والاستعباد[٣] . ومع ذلك فقد كان (على الغاياتى) فى معزل عن هذه الحركة الوطنية إذ (أنه نشأه بين قوم كرام غير أنهم محافظون يعبدون الحكام كأنهم ألهه يحيون ويميتون ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الإطلاق)[٤] .

بدأت أولى أفكار ومبادئ الشيخ (الغاياتى) تتبلور بطريق غير مباشر لدعوات الإصلاح التى تبناها جمال الدين الأفغانى ثم (محمد عبده) والتى تتحصر فى الدعوة إلى نبذ الخرافات التى لحقت بالدين الإسلامى ، كالتوسل بالأولياء والتواكل والاستسلام ، وعدم الأخذ بأسباب التقدم التى اتبعها الغرب . وكان الغاياتى بعقله المتفتح ونفسه المتوثبه يعكف على دراسة هذه الآراء وينشرها بين الطلاب ، ويدافع عنها بحماسة ، مما آثار خصومات بينه وبين شيخ المعهد الملتحق

(*) مدرس بكلية آداب – قنا – جامعة جنوب الوادى .

به فى دمياط ، انتهى به إلى الطـــرد ، فترك المعهد ليعمل مدرساً بإحدى المـــدارس الابتدائية الخاصة(٥) حيث بقـــى بين أهله حتى ناهز الثانية والعشرين مـــن العمـــر ثم غادرهم إلى القاهرة .

انتقل الشيخ الغاياتى إلى القاهرة ليعمل محرراً بجريدة الجوانب المصريـــة ، وهى جريدة يومية سياسية أدبية تجارية يرأس تحريرها (خليل مطران) ، فكـــان الغاياتى الأزهرى الشاب فى مطلع عمله بالصحافة لا يتردد فى أن يقف إلى جـــانب الرأى الحر الذى يراه على صواب دون أن يقيم وزناً لسلطان خصوم هذا الـــرأى(٦) واستمر الغاياتى فى كتاباته الثائرة فى تلك الجريدة إلى أن تركها كما يقول « بســبب سياستها فى عهد صاحبها الجديد (عطا بك حسنى) والذى كان معروفاً بأنه صـــهر العائلة الخديوية(٧) . وقد حدث أن الغاياتى كتب إحدى مقالاته بعنـــوان (الدســتور أميرنا) فلم تكد تعرف حتى أمر صاحب الجريدة برفعها وإحـــلال أخـــرى محلـــها وإعادة طبع الجريدة . وجمع ما تم توزيعه فى السوق لأن المقال كان يغلب عليـــه الطابع الوطنى إذ كان يطالب الخديوى بالدستور وكـــان أن خـــرج الغايـــاتى مـــن (الجوانب) ليكتب فى (اللواء) لسان الحزب الوطنى آنذاك .

وعلى أنه حدث أثناء فترة عمل (الغاياتى) فى جريدة الجوانـــب أن قـــامت فتنة دينية فى دمياط بسبب خلاف بين علماء الدين ، اشتعلت نارها بتدخل العـــوام ، ورفع أمرها إلى مشيخة الأزهر والخديوى . وكان أحد علماء دمياط (الشيخ حســن على) قد قصد فى ليلة المولد النبوى مسجد النفيس وبعد قراءة قصة المولـــد حـــث الحاضرين على الالتزام بما جاء فى كتاب الله وما صح من أحاديث الرســـول ﷺ ، وحذرهم من السجود للأولياء والاستنجاد بهم ، وعندما علم شيخ المسجد (الشـــيخ النحاس) بما حدث حرض اثنين من قدامى العلماء على نقل ما جاء علـــى لســـان الشيخ (حسن) محرفاً إلى الأهالى عندئذ قام الرعاع برمى منزل الشيخ بالحجـــارة، مما أدى به إلى الاستنجاد بالحكومة وصدور حكم المشايخ بمنع هـــذا العـــالم مـــن

التدريس وقطع راتبه وجرايته سنة كاملة، ورأى الغاياتى أن هذا الحكم هو (مـــن عمل الشيطان) وعقب عليه قائلاً (فهل بعد هذا نرجو تقدم الأمة بإرتقـــاء العلـــم والعلماء ؟ هل بعد هذا نعلق آمالنا بالأزهر ورجاله ؟ .

هكذا كانت بداية (الشيخ الغاياتى) تنبئ عن دور ملموس فى ميدان الجـــهاد الوطنى ، والوقوف ضد الجمود والتأخر فهو يدعو الأثرياء للتبرع للعالم الدميـــاطى الذى نعت بالكفر والهرطقة لدرجة أن خليل مطران (المسيحى) رئيـــس تحريـــر الجوانب تبرع بثلث راتبه لهذا الشيخ ، كما أيد الكتاب الغاياتى فيمـــا يدعـــو إليـــه انتصاراً للحق ، ومنهم الفيلسوف الكبير (شبلى شميل)[٨] وانهالت رسائل القـــراء تحيى الجريدة وصاحبها ، مما جعل الغاياتى يوجه كتاباً مفتوحاً إلى شـــيخ الجـــامع الأزهر يندد فيه بالحكم على الشيخ حسن على ، ثم نشر ما كتبـــه فـــى (الجوانـــب المصرية) وما استكتبه السادة الأفاضل فى رسالة ســـماها (ســـيف الله الصـــارم) طبعت بمطبعة الجوانب فى ٦ يناير سنة ١٩٠٨[٩] . وقد نظـــم الغايـــاتى قصيـــدة جريئة وقاسية هاجم فيها دعاة الجمود الذين كانوا يعملون فـــى ذلـــك الوقـــت مـــع الاحتلال حتى وان كانوا من علماء الأزهر جاء فيها[١٠] .

يا ويل من عبدوا القبور واشركوا　　بالله بيـــن توســـل وتضرع

ورأوا من العلمـــاء تأييـــداً لهم　　فمضوا ومـــا فطنوا لغى مبدع

يا قـــوم أن أولئـــك العلماء　　قد جعلوا الشريعة سلماً لنمطمع

فهلمـــا تنبـــذ رأيهم ونرى لنا　　رأياً تنزه عن فســـاد المنزع

وكانت نتيجة التأييد الذى لقيه الشيخ (حسن) من الغاياتى أن حيكـــت ضـــده المكائد ، فأدخل الجيش بدعوى أنه أعفى من القرعة العسكرية لطلب العلم ، وأنه لم يقض المدة القانونية بعد المعافاة دون الاشتغال بحرفة سواها . وكانت نتيجـــة تلـــك المكيدة القبض على الشيخ الغاياتى وإدخاله (قشلاق العباسية الأحمر) اثنى عشـــر

يوماً . ثم أطلق سراحه بعد ثبوت أنها فرية لا أساس لها من الصحة وفى السجن وقف على أسرار النفور من الجيش المصرى ، وما وصل إليه الجيش من التدهور والتدنى.ويبدو أن الوطنى الثائر (على الغاياتى) اعتنق مبادئ الزعيم مصفى كلمل منذ أن استمع إلى خطبته الكبرى التى ألقاها بالإسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ، وصار من تلاميذه وأنصاره الأوفياء المحافظين لعهده طوال السنين[١١] ، وكان من الطبيعى أن يكون الحزب الوطنى هو الحزب الذى يروق لمثل الغاياتى ، فلم يكن لشاب فى مثل حماسته ووطنيته أن يجد فى أحزاب مصر فى تلك الأيام مثل حزب الأمة وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية – ما يشبع ميله الفكرى ولم يكن من بين الأحزاب المصرية ما يفوق الحزب الوطنى فى آرائه التى بلغت حد التطرف ، حتى أنه كان يؤخذ عليه عند بعض خصومه أنه يبالغ فى التطرف إلى حد يعمى معه عن حقائق الحياة[١٢] .

وهكذا وجد (على الغاياتى) ضالته فى الحزب الوطنى وصحفه الوطنية الثورية ، فبدأ ينشر فى (اللواء) لسان حال الحزب الوطنى ثم فى جريدة (العلم) قصائد نارية ، لا يهاب فيها جانب الاحتلال ، ولا يقيم وزناً لمقام المحاكم أو القضاء ، ولا يجامل فيها أصحاب المقامات الأدبية مثل (أحمد شوقى) شاعر الأمير فى ذلك الحين قبل أن تعقد له إمامة الشعر ، كما أنه لم يمالئ شيوخ الأزهر وهو واحد منهم.

وكان مصطفى كامل بحق باعث الحركة الوطنية فى مصر عندئذ وقد واكب هذه الحركة طائفة من الشعراء من أهمهم إسماعيل صبرى وحافظ إبراهيم وأحمد شوقى وأحمد محرم وأحمد الكاشف . وكان شعر هؤلاء يسير موازياً للصحافة جنباً إلى جنب ، ويجرى مثلها مع حوادث المجتمع ، لا يترك مناسبة من المناسبات حتى تكون له فيها كلمة ، كما كان للنثر الصحفى دوره الهام فى دفع تلك الحوادث إلى الاطراد والنمو . وكثيراً ما كانت تشترك الكلمات فى المعانى والأفكار كما

اشتركت فى الغايات والأهداف . وكانت الحركة الوطنية كالأتون تحتاج دائماً إلـــى من يلقى فى داخلها الوقود لتزداد النيران لهيباً فتزداد المشاعر قوة[١٣] .

لقد كان الشيخ (الغاياتى) فى تلك المرحلة من أبرز فرسان الوطنية ، وكـان قلمه فى يده خير معبر عما يجيش فى داخله من تفاعل وصراع ، فجاءت كتاباتـــه حرة شجاعة . فها هو ينشر فى (اللواء) تحت عنوان (يا حماة الدين ويحكمـوا) قصيدة يؤيد فيها طلبة الأزهر الذين أضربوا عن الدروس احتجاجاً على عدم قبـول بعض طلباتهم ، ويعضـد فيها استقالة الشيخ (حسونة النـواوى) شـيخ الجـامع الأزهر من منصبه ، وذلك لمـا لقيه الطلبة الأزهريون من سـوء المعاملة بلغـت حد جلد بعضهم فى قبلة مسجد الأزهر بأمر من (خليل حماد باشا) رئيس ديـوان الأوقاف وقد جاء فى هذه القصيدة[١٤] :

يا حمـــاة النيل ويحكمو ودعـوا الدين الذى قبرا

إن بيـــت الله محتـرم كيف بـات الآن محتقراً

خلـــق الظالم لهم رجلاً حارب ا لعدل ومن عدلاً

عشـــق الجلد وعـدته فغـدا الجلـــد له عملاً

وعندما صدر قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة قال (الغاياتى) تحـت عنوان (صوت المصرى)[١٥] .

لئن قيدوا منى اليراع واوثقوا لسانى فقلبى كيفما شئت ينطق

فلا يأمنوا تلك القلوب فأنهـا دمـــا أراهـا أوشكت تتدفق

ثم ينشر تحت عنوان (إلى سمو الأمير والوزارة والأمة) قصيدة من ثـلاث قطع واحدة لسمو الأمير ، وأخرى للوزارة السابقة والثالثة للأمة واعتـبر الغايـاتى الأمير رأس الحكومة الأكبر وعليه تنعقد آمال الأمة وآلامها . وقـد جـاء قـانون

المطبوغات حائلاً بين الأمير وشعبه ولذلك (كان يوم إرجاع هذا القانون هو آخـــر العهد بيننا وبين سموه وقاطع حبل المودة والعتاب الذى أصبح أمره بيد الأقنذة بعـــد الألسنة) يقول (الغاياتى) فى هذه القصيدة :

أعباس هذا آخر العهـــد بيننـــا فـــلا تخشـــى منا بعد ذلك عتابا
أيرضيك فينا أن نكـون أذلـــة تنـــال إذا رمنـــا الحيـــاة عتابـــا
ونيأس مـــن آمالنـــا فيك كلمـــا قضيـــت علينا أن نكـــون غضابا
وأرضيت أعداء البـــلاد وأهلهـــا وأصليتنا بعـــد (الوفـــاق) عذابا
رويدك يا عباس لا تبلغ المـــدى ولا تستمـــع للظالمين خطابـــا
فما يبتغى (جورست) إلا مكيـــدة تحـــول أقـــلام الســـلام حرابا
وها قد رمى (حرية القول) رميـــة بسهمـــك تجنـــى للبلاد خرابا

* * *

ويقول (الغاياتى) فى الوزارة :

ألا أمطـــر لله الـــوزارة نقمـــة ولا بلغـــت ممـــا تـــروم مـــرامـــا
تحاول أن تقضـــى علينـــا بإثمهـــا ولكن ســـتلقى دون ذلـــك أثـــامـــاً
وزارة خـــداع أقامتـــه بيننـــا يـــد الحـــاكمين الآثميـــن فقـــامـــا
وبين يديه عصبـــة (بطرســـية) تصـــوب نحـــو المصلحين سهامـــا
جنى ما جنى فى (دنشواى) وغيرها ولـــم يكفـــه حتـــى اســـتحل حراما
ســـلام على عهـــد الوزارة قبلـــه وإن كان عهـــداً لا يبيـــح ســـلاماً

ثم استطر يقول فى حق الأمة المصرية :

بنى مصر بشـــرى فالرخـــاء محـــقق ومـــن عـــدم الأقـــوال رام فعـــــالا

وهـــــذا يراعـــى فليقيـــــد فإنمـــــا لـــــدى يراع لا يهـــاب نضـــــالا

سأطلقه يجـــــرى كمـــا شـــاء حـــدة ومن شـــاء فليقطـــع عليـــه مجـــالا

فلا يتأسوا فاليـــأس مجلبـــة الـــردى وشـــدوا إلى نيـــل الرجـــاء رجـــالا

ولا تفزعـــوا من حاكـــم أو حكومـــة ترى نشـــر أمـــال العبـــاد ضـــلالا

وســـيروا إلى مـــا تأملـــون بحكمـــة ولا تحســـبوا النـــور المبين محـــالا

فإنى لمحت النصـــر بين صفوفكـــم وابصرت عقبـــى الظـــالمين وبـــالا

والملاحظ أن (الغاياتى) نهج أسلوب فريد فى التعبير والكتابة سواء شـــعراً أو نثراً ، فنراه يحرص على شرح ما ينغلق على القارئ من آيات محاولاً توصيـــل المعنى فى لغة سهلة بليغة يطرب لها وجـــدان المتلقى . ومن أمثلة ذلـــك التفســـير الذى ساقه لنا هذا الوطنى الغيور لمعنى « ســـياسة الوفاق » وهى تلك التـــى آتـــى بها المندوب السامى البريطانى فى مصر (جورست) بعد سياسة الخـــلاف التـــى ذهب بها اللورد (كرومر) وكان الغاياتى ، يرى أنه لا خـــير فـــى سياســـة مـــع الاحتلال ، ويستمر فيقول « أما الحكمون الآثمون فهـــم الإنجليز المغتصبون وقـــد كان تعيين بطرس باشا غالى رئيساً للوزراء خلفاً لمصطفى باشـــا فهمى بمحـــض أرداتهم ، فهم الذين أقاموه رئيساً للنظار وأصدروا أمرهم من (لندرة) بذلك كمـــا رواه المقطم (وهو لسانهم الصادق قطعه الله) . كما يرى (الغايـــاتى) أن اليـــأس باعث الهلاك ، ولا سبيل إلى نهضة الأمـــة وحياتها ألا بمحالفة الأمل ومحاربـــة اليأس ، وذلك تأكيداً لإحدى مأثورات الزعيم مصطفى كامل « لا حياة مـــع اليـــأس ولا يأس مع الحياة » .

وهكذا تسلح الشيخ (الغاياتى) بالجرأة البالغة ، ولم يجبـــن أمـــام تـــهديدات سلطات الاحتلال البريطانى ، ولم يتوان عن تجريد تلك الأسلحة فى آى ساحة مـــن ساحات النضال الوطنى ، بل لم يبال بالنتائج المترتبة على ثوريته وحماسته الزائـــدة لدرجة التضحية بالنفس فى سبيل معتقداته الفكرية والوطنية . وكثـــيراً مـــا دفعتـــه جرأته الشديدة إلى تحطيم القانون إذا ما دعا الموقف إلى تأييد الحق ورفع الظلم عن الوطنيين والأحرار ، ممن يواجهون الموت فى سبيل رفعة أوطانهم .

واستمر نضال الشـــيخ الغاياتى فى مصر قبل هجرته ما بين نظـــم القصـــائد فى المناسبات الوطنية وتدبيـــج لآلئة النثرية فى كبريات الصحف الوطنيـــــة حتـــى غـــداً نجماً ساطعاً ليس فقط فى ســـماء مصر بل فى ســـماء العروبة . واســـتطاع أن يجعل من مصر كعبـــة يتجه إليها بنى العرب بأفئدتهم وأبصـــارهم . وانعكـــس تأثير معاول الغاياتى فى داخل مصر على ما يناظرهـــا مـــن قضـــايا التحريـــر المصيرى فى المشرق وجنـــد قلمه قبل لسانه من أجل نصرة أمال بنـــى وطنـــه ولم يدع مناسبة قوية إلا وهاجم فيها الاحتلال البريطانى والقصر والمشايعين لـــهما . ولم يتوان لحظة فى التنديد بالمتملقين والمتخاذلين فنراه يـــهاجم أعضـــاء الـــوزارة البطرسيه عندما امتنعوا عن حضور جلسات مجلس الشورى خشية مواجهة أســـئلة نواب الشعب ومناقشاتهم فيقول :

يـــا أيهـــا الوزراء مـــــاذا أنابكـــــم حتـــى هجـــرتـــم صـــورة النـــواب
أن كـــان سيف الحـــق روعكم وقـــد هتـــك الحجـــاب وصال فى الحجاب
أو كـــانِ (إسماعيل)[١٦] صوب سهمه فأصاب منكـــم موضـــع الأوصـــاب
ورضيتـــــم الهـــرب المعيب لأنه خيـــر من الإفـــلاس عنـــد حســـاب
عـــــارٌ عليكـــــم أن يقـــــال وزارة لـــم تـــدر إن سئلت بيـــان جـــواب

وتحت وطأة الاحتلال وما لقيه الشعب من صنوف الأذى والظلـــم – خاصـــة بعد حادث دنشواى وإقامة المشانق فى ساحة القريـــة والحكم بالإعدام على العديـــد من أبناء الريف الأبرياء أخذ الغاياتى يمسح دمـــوع الثكـــالى واليتـــامى ويطالبـــهم بالصبر عسى أن يأتى يوم القصاص من الطغاة فيقول[١٧] :

كفكفى يا مصر دمـــــع الوجل وارتقـــب يا نيل نيل الأمـــل

جاوز الصبر المدى والصدر لم يعد فيـــه الوجـــد من محتمـــل

كم شقاء ! كم بلاء ! كم أذى ! أى حـــال بعـــد ذا لـــم يحـــل

ومن ناحية أخرى ، أخذ على الغاياتى يناشد الأمم المحبة للحرية الوقوف إلـــى جانب وطنه الممزق وسارع لتوجيه النداء تلو النداء من أجل رفع قضية مصر فـــى المحافل الدولية . ولما كانت فرنسا تقف لبريطانيا بالمرصاد فإن الشعب المصـــرى كان يعلق آمالاً على إمكانية نجاح فرنسا فى زحزحة بريطانيا عن وادى النيل ومـــن هنا يتفاعل الغاياتى بما يدور فى داخل فرنسا ، فيواسى شعبها بعد أن فاض (نـــهر السين). واغرق جانباً من العاصمة باريس ، وربط أحداث ذلك الفيضان مع قضيـــة مد امتياز قناة السويس لتصبح إلى سنة ٢٠٠٨ بدلاً من انتهائه فـــى ســـنة ١٩٦٩ . وقد أمر الخديو عباس الثانى بعرض هذا الموضوع على الجمعية العمومية فـــى ٨ فبراير سنة ١٩١٠ ، وأثارت هذه القضية مشـــاعر المصرييـــن وصحفـــهم فكتـــب الغاياتى فى اللواء تحت عنوان (السين يضطرب والنيل ينتحب)[١٨] :

ما لقلب (السين) يضطرب وأخـــــوه النيـــــل ينتحب

بلغـــــت باريـــــس غايتها فتولى نهـــرها الطـــــرب

ثم يهاجم أعضاء الجمعية العمومية تحت عنـــوان (إليكـــم نـــواب الجمعيـــة العمومية) بقوله[١٩] :

أرادوا بمصر محنـــة وبـــلاء وجـــاءوا بكم يستعجلون قضاء

لقد بات قلب الشعب مصوبـــاً سميضـــى إلى التراب أو ينتاءى

وبات يراع الكاتبيـــن مهنـدأ فاطلـــع مـــن ليل المداد ضياء

وها قد أتى يوم (القناة) معجلاً فويـــل لمن (يوم القناة) أساء

ولم يكن نثر الغاياتى أقل وطنية من أشعاره ، فجاءت كطلقات الرصـــاص . وعلى الرغم من أن كثيراً من تلك الكتابات أتت لتمجد الواقعة أو الحادثة التى كتبت فيها إلا أن جميع كتاباته فى المناسبات ألهبت خواطر الشعب وصارت سلاحاً مـــن أسلحة الوطنية ، ففى الذكرى الأولى لوفاة الزعيم مصطفى كامل نشر تحت عنـوان (رب ذكرى هيجت شجناً) :

« قد دهمنى خطب الفقيد العظيم فأقمت حفلات التأبين الجامعة وأديـت مـن الفروض الوطنية بعض ما يجب لفقيد الشرق الإسلام ، واشترك خطبـاء المسـاجد وعلماء الدين وجماعة الكتاب والشعراء فى قضاء هذا الحـق الوطنـى المقـدس . وكان الكل مدفوعاً بشعور واحد هو حب الفقيد الممثل لمعنى الوطـن والوطنيـة . ولقد جاء يوم الذكرى فحار دمعى بين الشؤون والجفون كما حار مدادى بين اليراع والقرطاس ، فإذا ما شاركت اليوم الأمة فى شعورها الشريف بكلمات مـن الشـعر صادرة عن فؤاد محزون فإنى لا أزال أرانى مع هذا بعيداً عما أريد مـن التعبـير والبيان فى هذا الموقف العظيم »[٢٠] .

ثم ينشد هذه الأبيات :

عجباً للقريض كيـف عصانـى ولدمـــع دعوتـــه فتنـاءى

كلت يــوم الوفــاة أول بـــاك نظـــم الدمــع والقريض رثاء

ليــت شعــرى مــاذا دهانـــى جــف بالأمس مدمعى ومدادى ؟

إن ذكرى الفقيد بعـــد ربيــع جـــددت رزأة بكـــل فــؤاد

* * *

قضية وطنيتى :

لم يكن لقصائد (على الغاياتى) الوطنية أن تأتى أكلها فرادى متنـــاثرة هنـــا وهناك ، ولذا بادر بجمع تلك الأشعار فى ديوان أطلق عليه اسم (وطنيتى) وذلـــك فى منتصف عام ١٩١٠ . وبدا للحكومة آنذاك أنها أمام قذيفة مركزة من التحريـض ضد الاحتلال وأنها حملة أثارة إن لم تعالج فى بدايتها استشرى خطرها واســـتحال القضاء عليها . ولذلك بدأت الحملة على ديوان (وطنيتى) وكل ما اتصـــل بـــهذا الديوان كأعنف ما تكون الحملة ، فحكم على محمد فريد والشيخ بعد العزيز جاويش وعلى (الغاياتى) بالحبس مدداً تتراوح بين السنة وثلاثة شهور . ولعـــل هـــذا أول كتاب فى مصر – كما يقول فتحى رضوان – يجر ثلاثة إلى السجن ، ويؤدى إلـــى هجرة اثنين منهما عن الوطن هجرة طالت ، حتـــى مـــات خلالـــها أحـــد الاثنيـــن المهاجرين دون أن يرى وطنه ولا أهله ، وبنى فيها الثانى حياة جديدة كاملة خـــارج وطنه ، ولم يعد إليها إلا بعد أكثر من ربع قرن[٢١] .

يروى الغاياتى قصة ديوان وطنيتى فيقول « أننى فرغت مـــن قصـــائد هـــذا الديوان فى ٢٤ يونيو ١٩١٠ ولما كان طبع مثل هذا الديوان يعرضه للمصادرة فقـد قصدت مطبعة يملكها فرنسى وكان الأجانب حينذاك غير خاضعين لتفتيش البوليـــس المصرى إلا إذا أذنت القنصلية التى يتبعها هؤلاء الأجانب . وكان اســـتصدار هـــذا الأذن يسمح بإخفاء جسم الجريمة . ومن هنا تم طبع الديوان دون أن يصادر وكـــان عدد النسخ المطبوعة ألف نسخه ... وأردت أن أهدى نسخة إلـــى الشـــيخ (علـــى

يوسف) صاحب المؤيد ليقرظها ويعلق عليها . ولم يكد الشيخ على يوسف يطلع على الديوان حتى جرد عليه حملة ضارية ، وكأنه كان يكتب قرار الاتهام ضد الديوان وصاحبه ، وكانت (المؤيد) تنافس (اللواء) جريدة الحزب الوطنى وتتهم الحزب والجريدة بالتطرف المجنون وتلقت الحكومة هذه الحملة بصدر رحب فأخذت تبحث عن الديوان فى كل مكان تعلم أنه موجود فيه »[٢٢] .

كانت كل كلمة فى (وطنيتى) قذيفة فى صدر المحتل من الغلاف إلى الغلاف ، ففى إهداء الكتاب الذى ساقه الغاياتى إلى مصطفى كامل يقول (فلئن حييت لأنصرن مبادئ الحزب نصرًا ، ولأطلعن فى دياجى الخطوب من حياتى فجرًا ، ولأجودن بالنفس يوم تدعو البلاد للأمر حرًا ، بل لأغيرن أن استطعت وجه التاريخ الحديث فى مصر تغيرًا تخر له جبابرة الظالمين سجوداً يبكون خشية وفرقًا ويرفع الوطن المفتدى رأسه مهللاً مكبرا منصوراً إن شاء الله)[٢٣] . وهكذا يشعر المرء للوهلة الأولى بأن الغاياتى كان يؤهل نفسه لدخول السجن ، لأنه جازف بطبع الديوان مع إحساسه الداخلى بأن نسخ الديوان سوف تصادر ، ومعنى المصادرة هو اقتياده للمحاكمة ، ويعلق الدكتور أحمد هيكل[٢٤] على الديوان وصاحبة بأن (على الغاياتى) ينتمى إلى هذا الجيل من الشعراء الذى سار فى نفس اتجاه الشاعر (محمود سامى البارودى) ويترسم خطاه نحو الاتجاه المحافظ اليبانى الحى . وترجع أهم أسباب ظهور هذا الاتجاه إلى الوعى الناضج الذى بدأ عند بعض المثقفين ... والذى يقرأ ديوان (وطنيتى) قد لا يجده كله شعرًا من طراز رفيع ولكن يجد فيه باكورة رائعة لشاعر شاب لم يتجاوز عمره ٢٥ سنة ، وإلى جانب ذلك نجد الوطنية الحقة والعقل المتحرر ، ويرى الأستاذ فتحى رضوان أن المتتبع لقصائد الديوان ويقرأ هوامشه لا تتطبع لديه صورة كاملة للعهد الذى ظهر فيه ، صورة شعب يناضل من أجل إجلاء الإنجليز عن أرضه بقلمه ولسانه ، ويتحفز

لقتال أشد ضراوة فى سبيل نفس الغاية ، من أجل الدستور ، ومن أجل مزيد من الحريات الداخلية وإصلاح الحكم والضرب على يد المفسدين[٢٥] .

ويرى الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى أن ديوان وطنيتى هو الأول من نوعه الذى تخصص لموضوع واحد هو الوطنية . ذلك أن دواوين الشعراء فى ذلك الوقت كانت تصدر مقسمة إلى أبواب غالبًا ما تكون على النحو التالى : باب المدح، باب الرثاء ، باب الغزل والنسيب ، باب الوصف ثم الوطنيات . وهكذا كان (وطنيتى) وثبة من وثبات الشاعر فى عالم الشعر والأدب . يقص الشيخ على (الغاياتى) قصة قضية الديوان فيقول « كان من أشهر القضايا السياسية فى العصر الحديث . وقد كان لها صدى بعيد المدى فى مصر والشرق كما وصلت أنباؤها تترى إلى الغرب . ولا شك فى أن أول من وجه أنظار الحكومة علنا وحرضها بطريقة غير مباشرة على صاحبه هو الشيخ على يوسف[٢٦] .

يقول الشيخ على يوسف فى قضية الديوان (زارنا منذ يومين حضرة الشيخ على الغاياتى) المحرر بجريدة (العلم) وقدم لنا نسخة من كتاب شعرى وضعه حديثاً بعنوان (وطنيتى) وعزمت على أن اقرظه كما يستحق أديب مثله يحسن الشعر ويعمل كما يعتقد لأحياء الشعور الوطنى ... وأول ما وقع نظرى عليه قول هذا الشاعر المجيد :

يا ليت شعرى هل رأيت كما أرى أن (المؤيد) معهد الهفوات

فنشرت فيه ما نشرت وإنما هى زلة من أكبر الزلات[٢٧]

ويستطرد الشيخ (على يوسف) فيقول : استوقفنى هذا السباب الموجه إلى (المؤيد) وقلت : لعل حضرة الشيخ أراد أن يوجه إلى هذا الكلام مشافهة بتقديم الكتاب ، ولكنى رجعت وقلت لعل ذلك الزائر لم يقصد هذا وإنما قصد أن أدل قراء (المؤيد) على شئ من آيات وطنية البينات » ثم أورد الشيخ (على يوسف) أبياتاً

متفرقة من تسع قصائد للغاياتى كان قد نشرها فى (وطنيتـــى) ، كـــانت ضمـــن حيثيات الحكم فى تلك القضية الخطيرة .

ولم يمض يومان على مقالة (المؤيد) حتى نشرت الصحف خبراً مـــؤداه أن إدارة الضبط قبضت على الشيخ (على الغاياتى) لأنه نشر ديوانا فيه قصائد تقـــع تحت طائلة المطبوعات . وقد أحيل إلى النيابة للتحقيق معه[٢٨] ، ولكن فى الحقيقـــة أن الغاياتى لم يقبض عليه ، وإنما كان خارج القاهرة . وذلك أنه علم بأن الحكومـــة بدأت تبحث عن الديوان فى كل مكان وأن أمرا باعتقاله قد صـــدر ، وقـــد نصحـــه بعض الأصدقاء بأن يفر خارج البلاد وليكن إلى تركيا .

وكان كتاب (وطنيتى) أبلغ دليل على : اتهام على الغاياتى بالثورة السياســية والتحريض ضد سلطات الاحتلال . ذلك لما احتواه من أشعار ألهبت نار الحماســـة لدى العامة والخاصة متبعاً فى قوله سير الحركة الوطنية ، مشـــرفاً علـــى مشـــاهد النهضة الحاضرة فيما بين ١٩٠٠ إلى ١٩١٠ من سماء الحزب الوطنى فى (اللواء) ثم فى (العلم) . فلا ريب أنها أدنى سماء يشرف منها مثل هذا العـــالم السياســـى والكاتب الوطنى على تطور الحركة الوطنية وأدوارها فى مصر . ولعل مـــن بيـــن الأسباب الهامة التى أدت بالحكومة إلى اختلاق قضية تهدد مـــن خلالـــها الحركـــة الوطنية هو ذلك التقريظ أو المقدمة التى تصدرت الديوان بقلم كل من الشـــيخ عبـــد العزيز جاويش رئيس تحرير (العلم) لسان حال الحزب الوطنى ، والتى أدى بـــه إلى دخول السجن ومحمد فريد رئيس الحزب الوطنى ورئيس تحرير جريدة اللـــواء خليفة مصطفى كامل .

يقول الشيخ عبد العزيز جاويش فى تقريظه للكتاب « إذا شئت أن تعرف جيد الشعر فدع عنك تفاعيل البحور والتزام الحروف ومحسنات الألفـــاظ واعتـــبر بمـــا يتركه فى نفسك من الأثر فإن أحسن الشعر ما يملك قلبك حتى تفرغ منه كمـــا أن أجمل الصور ما يملك بصرك حتى يغيب عنه ... ومن شاء أن يرى نموذج مـــن

الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعنى ، وألف بين أحكـــام التـــاليف وصـــدق العبارة فليقرأ شيئاً من (وطنيتى) . من شاء فليسأل عن أثارها تلك الهمم الناهضـــة والنفوس المتوقده والعزائم الصادقة فإنها من غراسها وجميل ثمارها »[٢٩] .

افتتح محمد فريد زعيم الحزب الوطنى كتاب الشيخ الغاياتى بقوله « لقد كـــان نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو الشرق إماتـــة الشـــعر الحماســـى ، وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارد ، والإطراء الفـــارغ فى الملوك والأمراء والوزراء ، وابتعادهم عن كل ما يربى النفوس ويغرس فيـــها حب الحرية والاستقلال ... لذلك تنبهت الأمم المغلوبة على أمرها فجعلت مـــن أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمـــة وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين ، فكـــان ذلك أكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات .. ومما يزيد ســـرورى أن شعراء الأرياف[٣٠] وضعوا عدة أناشيد وأغانى فى مسألة (دنشواى) وما نشـــأ عنها . وفى المرحوم مصطفى كامل باشا ومجهوداته الوطنية وفى موضـــوع قنـــاة السويس ورفض الجمعية العمومية لمشروعها ... وهى حركة مباركة أن شـــاء الله تدل على أن مجهودات الوطنيين قد أثمرت ووصل تأثيرها إلى أعماق القلوب فـــى جميع طبقات الأمة وتبشر باقتراب زمن الخلاص من الاحتلال ومن ســـلطة الفـــرد بإذن الله »[٣١] .

كان (وطنيتى) سجل حافل لوقائع عصر زاخر بالوطنية مما حدا بالســـلطة لتقديم صاحبه للمحاكمة . ولم تكن إدانة كل من محمد فريد وعبد العزيز جاويش إلا عقوبة لتأييد كل منها لمضامين هذا الكتاب الذى كان – كما يقـــول الغايـــاتى – أداة من أدوات الكفاح الوطنى . ولذلك نرى استجابة للأحداث استجابة سريعة ، فلا يكاد الحدث الوطنى يقع حتى يفيض شعره . فعلى سبيل المثال عندمـــا يصـــرح أحمـــد

شوقى عن لسان الخديوى عباس فى حديث له مع جريدة (المؤيـــد) أن الخديـــو لا يستطيع أن يعلن الدستور إلا بأن الأنجليز يعاجله الغاياتى بقصيدة يقول له فيها :

يا شاعـــر الأمير ويحك هل ترى فى النثر ما فىالنظم من خطرات
أنى رأيتـــك فى حديثك شاعراً لـــك خيالك زائـــغ النظرات

ويتورط (أحمد زكى) باشا شيخ العروبة بكلمة يحمل فيـــها علـــى الحـــزب الوطنى ، فيهاجمه الوطنيون ، فيعتذر عن هذا الخطأ ويصفه بأنه من فلتات اللســـان فيعرك (الغاياتى) أذنه فى نفس القصيدة التى يعاتب فيها شوقى ويختمـــها ببيـــت يقول فيه :

فعليك إصلاح الحـــديث فأنـــه عنـــدى أشـــد أذى من الفلتات

وفى الديوان مديح لمصطفى كامل وهو على قيد الحياة ورثاء له حين لحـــق بالرفيق الأعلى ، ومديح وثناء على محمد فريد بعد انتخابه رئيساً للحزب الوطنـــى ، ومديح للشيخ (جاويش) بمناسبة الإفراج عنه بعد اتهامه فى إحدى القضايا ثم عنـــد منحه (وسام الشعب)[٣٢] الذى اكتتب المصريون بثمنه وقلدوه إياه عندما خرج مـــن السجن. ونظم الغاياتى قصيدة فى هذه المناسبة بعنوان (الوسام بعد السجن) قـــال فى مطلعها :

عاد إلى القلم المشـــهور ســـيرته ولاح بدر اللوا من بعد ما احتجبا
تجلـــو بشـــاشـــته الآلام والكـــربـــا

وعندما وقع حادث اغتيال بطرس باشا غالى رئيس النظـــار القبطـــى انتـــهز خصوم الحركة الوطنية هذا الحادث وأسرفوا فى القول بأن بـــاعث (الوردانـــى) على القتل كان باعثاً دينياً ، وذلك لبث سموم التفرقة بين المصريين . وقد تصـــدى أحد المحامين الأقباط الذائعى الصيت (مرقص فهمى) يدفع عن الحركة الوطنيـــة

هذا الاتهام الظالم فتأثر الغاياتى لهذا الموقف النبيل وكتب قصيدة عنوانـــها (إلـــى خطيب السلام) يبدأها بقوله :

خطبت فلم تجنح إلى شـــرعة الهـــوى ولـــم تتخـــذ الخصـــام ســـــــبيـــلاً
وما أمة القـــرآن فى مصـــر أمـــــة ترى أمـــة الإنجيـــل أبغـــض جيـــلا
فأنا وأنتـــــم أخـــوة فـــــى بلادنـــا قمنـــــا على دين الســـــلام طويـــلاً

وتنتقل من الوحدة الوطنية عند الغاياتى إلى الهجوم على (تيودور روزفلت) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سابقاً وذلك لالقائه خطاباً فى الجامعة المصريـــــة أشاد فيها بالاحتلال الأجنبى البريطانى لمصر ، فينبرى له من بين من تصدوا لـــــه من الكتاب والشعراء فيقول :

لعمـــرك لســـــت بالرجـــل الهمـــام إذا عـــــد الهمـــــام من إكـــــرام
كـــرام النـــــاس أصـــدقهـــم حديثـــاً وأبعـــــد عن أكـــــاذيب اللئـــــــام

ويذكر الغاياتى روزفلت فى هذه القصيدة بأن الإنجليز كانوا يحكمونـــهم ، وأن الأمريكيين الأحرار قد ثاروا عليهم وأشاد ببطولة زعماء النضال الأمريكـــــى مثـــل واشنجتون وجيفرسون . وعندما سافر روزفلت من مصر إلى إنجلترا خطب ثانيـــــاً فى قاعدة (جليد هول) بلندن فحمل على المصريين من جديد مشـــــيدًا بـــالاحتلال البريطانى فنظم فيه الغاياتى قصيدة أخرى لا تقل قوة عن الأولى تحت عنوان إلـــى خطيب (جيلد هول) يقول فى مطلعها :

ماذا تحاول يا رزفلت من خطـــب ترمى مصر عن حقد وعن غضب[٣٣]

وها هو الغاياتى لا يجد حرجًا فى مخاطبة السلطان (عبـــد الحميـــد) فـــى الآستانة وكان يسمى فى ذلك الوقت بأمير المؤمنين يطالبه فيه بالدستور ويشير إلـــى نكبة مصر بالاحتلال فيقول[٣٤] :

رمتهـــا الحـــادثـــات بشـــر قـــوم لهـــم فى كـــل مظلمـــة شـــئون

قضـــت فى عصرهـــم مصـــر ولولا رجـــاء فيـــك مـــا قـــرت عيـــون

فاعـــزز يـــا حمـــى الإســـلام شـــعبًا بعـــزك لا يـــذل ولا يهـــون

وكان قرار الاتهام فى قضية وطنيتى هو إحالة كل مـــن الشـــيخ جـــاويش – المحرر بجريدة العلم – والشيخ على الغاياتى – المصحح بجريـــدة العلـــم والشـــيخ محمد حسن القزوينى الموظف بقلم تحرير (العلم) والياس أفندى ديـــاب صـــاحب مكتبة التأليف إلى محكمة الجنايات يوم ٦ أغسطس برئاسة (محمد بـــك مجـــدى) وحضرة (على بك ذو الفقار) والمسيو (سودان) أعضاء كمـــا تقـــرر إخـــراج إسماعيل أفندى حافظ صاحب جريدة العلم وتأجيل رفع الدعوى على حضرة محمـــد بك فريد رئيس الحزب الوطنى حين عودته من أوربا وذلك لوضع ونشـــر كتـــاب يسمى وطنيتى ، ويشتمل على قصائد ومنظومات يتضمن بعضها التحريض مباشـرة على جناية القتل (صحيفـة ٣٤,٥ ، ٣٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢) وبعضها التحريض على كراهية الحكومة والازدراء بها صحيفـة (٣٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧) وبعضها تحسين الجريمـــة التـــى ارتكبـــها الشيخ جاويش وحكم عليه من أجلها فى العام الماضى وغيرهـــا (٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ١٠١) وبعضها العيب فى حـــق ذات ولـــى الأمر (صحيفة ٥٥ ، ٥٦) وبعضـــها أهانه ناظر الحقـــانية بصفته موظفاً عموميـــاً (صحيفة ٦٣ ، ٦٤) وبعضها أهانه هيئة الوزارة والمحاكم (صحيفة ٥٦ ، ٦٨).

وهكذا أصبحت صفحات وطنيتى فى قائمة الاتهام حتى كان موعـــد انعقـــاد محكمة الجنايات الكبرى . وهذه صورة لجلستها كما جاء فـــى اللـــواء (انعقـــدت الجلسة فى الساعة التاسعة صباحاً تحت رئاسة محمد بك مجدى وكل من العضويـــن على بك ذو الفقار والمسيو سودان . وكان على كرسى النيابة توفيـــق بـــك نســـيم

وسكرتير الجلسة جلال أفندى . وكان النظام سائداً ، والقاعة غاصـــة بالحـــاضرين يتخللهم رجال البوليس السرى المنتشر خارج القاعة وداخلـــها . وكـــان حضـــرات الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ محمد حسن القزوينى والياس أفندى دياب واقفيـــن فى موقف الاتهام ، وحضر حضرات المحامين الأفاضل للدفاع عن موكليهم ... ثـم تكلم حضرة رئيس الجلسة بعض كلمات طلب فيها من الجمهور المحافظـــة علـــى النظام ونودى على المتهمين فسأل كل منهم عن اسمه وصناعته . وعمره وســـكنه ، ثم قام كاتب الجلسة وتلا محضر الجلسة . وبعد ذلك قام وكيل النيابة وطلب معاقبـــة الشيخ الغاياتى والشيخ جاويش بصفته فاعلاً وشريكاً فى الجناية وذلك لنشر أشـــياء مخالفة للقوانين بالجرائد »[٣٥] .

سأل رئيس الجلسة الشيخ عبد العزيز جاويش عن التهم الموجهة ضده فقـــال أنه قرظ الكتاب عن نيه حسنة » . وسئل الشيخ القزوينى عن التهم الموجهة ضـــده فقال أنه لم يطلع على الكتاب . وسئل دياب أفندى عن التهم الموجهة ضده فقال إنـــه باعه كسائر البائعين . ثم قام حضرة وكيل النيابة وقال : قام هذا الشـــاعر المفتـــون (يقصد الغاياتى) ووضع هذا الكتاب فلا حيى الله وطنيته ولا بارك الله فيـــها مـــن وطنية قاسقة ، لقد مجد فعل دنجرا والوردانى وكلاهما قاتل سفاك وهـــذا تحريـــض على ارتكاب الجنايات .. وقال : نعم هنا فى هذا الكتاب (وطنيتى) جملة قصـــائد أدبية ولكن هذا لا يبرر ما فى هذا الكتاب الذى يعظم الأثم ويدفن الحسنة ... وفـــى اليوم التالى وقف حضرة توفيق بك نسيم قائلاً بأن النيابة العمومية تطلـــب معاقبـــة المتهم (الغايـــاتى) بـــالمواد ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ من قانون العقوبات لوضعه وطبعه كتاب (وطنيتى)[٣٦] .

ومع أن عدد من المحامين تطوعوا للدفاع عن المتهمين إلا أن حكماً صـــدر بإدانة كل من الشيخ الغاياتى والشيخ جاويش ووافق الخديو عباس حلمى الثانى علـــى

حكم محكمة جنايات مصر فى قضية النيابة العمومية رقـــم ٦٧ ســـايرة الأزبكيـــة لسنه ١٩١٠ وذلك بالحبس لمدة سنة مع الشغل بالنسبة للغاياتى مع تبرئته من تهمـــة التحريض على القتل والحبس ثلاثة أشهر على الشيخ جاويش .

كانت معظم القصائد التى احتواها كتاب وطنيتى قد سبق للصحف نشرها فـــى حينها ، ولم تجد النيابة فيها ما يستدعى المحاكمة إلا أن الوزارة أخذا بسياسة الشـــدة التى انتهجتها حيال الحركة الوطنية أوعزت إلى النيابة بـــــالتحقيق فيمـــا ورد فـــى الكتاب ، فأمرت بمصادرته وأصدرت حكمها المتقدم على الشيخ جاويش والغايـلتى، أما الزعيم محمد فريد الذى اشترك فى تقديم الكتاب فقد كان أثناء التحقيق فى أوربـــا يدافع عن قضية مصر فأرجأت النيابة إجراءاتها معه حتى يعود[٣٧] واعتبرته النيابـــة شريكا للغاياتى فى التهمة . وكانت الحكومة تريد بالحكم السابق ضد الشيخ جـــاويش عدم عودة محمد فريد إلى مصر . وقد أشاع خصومه أنه اعتزم إلا يعود خوفاً مـــن الحكم عليه ، ولكن فريد بادر بنفى هذه الإشاعة وهو فى أوربا . ويرى الرافعـــى[٣٨] أنه بلغ من تأصل الوطنية الصحيحة فى بيت الزعيم أنه تلقى من كـــبرى كريماتـــه خطابا ترغبه فيه فى الحضور تقول فيه (ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثـــل مـــا حكموا به على الشيخ عبد العزيز جاويش فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم ومـــا تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم) .

بـــدأت النيابة العمومية التحقيق مع محمد فريد بعد عودته إلى مصـــــر فـــى أواخر ديســمبر ١٩١٠ ونظرت القضية أمام محكمة جنايات مصر فى ٢٣ ينـــاير سنة ١٩١١ فانعقدت المحكمة برئاسة المستر (دلبروجلى) وعضوية كل من أحمـــد ذو الفقار بك وأمين بك على ومثل النيابة محمد توفيق نسيم وحضر الزعيم بـــــدون اصطحاب أحدًا من المحامين وسأله رئيس المحكمة عن التهمة الموجه إليـــه وهـــى تقريظه للكتاب فأجاب قائلاً : « فى الوقت المنسوب إلى فيه تقريظ الكتـــاب كنـــت غائبًا عن مصر لأنه ظهر فى أخر يونيه وأنا سافرت إلى أوربا فى ٥ مايو ، أمـــا

المقالة فكتبتها قبل صدور الكتاب ولا علم لى بالمسائل التى فيـــه لأن كثـــيرًا منـــها حدث ونظم شعره فى غيابى ، ولما كتبت المقالة كتبتها باعتقاد أنها مما لا يعـــاقب عليها القانون » وعلى الرغم من ذلك فقد صدر حكم المحكمة بحبس محمـــد فريـــد ستة أشهر مع النفاذ . وإذا كان من الثابت أن محمد فريد قد كتب مقدمـــة وطنيتـــى دون أن يطلع على محتويات الكتاب بل وقبل أن ينتهى الغاياتى من وضعه له فـــإن الزعيم لم يحاكم من أجل تلك المقدمة بل من أجل موقفه العدائـــى مـــن الاحتـــلال والحكومة وأن الغرض من محاكمته إنما هو إرهابه ومعاقبته على إخلاصـــه فـــى جهاده ، إذ جاءت تلك المحاكمة بمثابة مأساة قضائية ووطنية وأخلاقية تلقى ظـــلالاً كثيفة على الحركة الوطنية .

وهكذا تخطت قضية وطنيتى مرحلة الذاتية بل صارت قضية قومية سياســـية تناولتها الألسن والأقلام فى مصر على تباين مشاربها ووجدت الصحف جميعها فـــى الإحكام الصادرة مادة دسمة للخوض فيها واشتركت كافة الصحف فى توجيه النقـــد إلى تلك الأحكام حتى الصحف المؤيدة للقصر والاحتلال لأنها « كانت تـــرى أنـــها صادرة ضد رجل من ذوى الأقلام » استوت فى ذلك صحف المســـلمين والأقبـــاط والأجانب[٣٩] ، خاصة جريدة المقطم المعروفة بميولها للبريطانيين ، وشق عليـــها أن يصدر ذلك الحكم على خصمها العنيد وكأن ذلك الخصم القديم قد انقلب فى شعورها دفعة واحدة إلى صديق حميم[٤٠] أما جريدة (الاجيبشيا جازيت) فقد علقـــت علـــى ذلك بقولها « إن الدلائل تدل على أن النيابة لا تعمل بمفردها فـــى تحقيـــق قضيـــة الغاياتى بل ثمة يد انجليزية من وراء ستار لإدارة التحقيق »[٤١] .

أما جريدة (لوبرو جريه) الفرنسية فقالت تدافع عن الغايـــاتى بـــأن الجـــزء الأكبر من كتاب الشيخ الغاياتى عبارة عن ترجمة لقطع من الأدب الأوربى[٤٢] وأنـــها لم تر فيـــه إلا تبسيط يناسب العقليـــة المصرية ولكنه يهدف إلى جنب القارئ بإفهامـــه إن محاربة الإنجليز وحلفـــائهم والخديو وحكومتـــه عمل من الأعمـــال الوطنيـــة[٤٣] ،

ولكنها عادت مرة أخرى تتحدث عن الكتاب فقالت أنه مؤلف سياسى وليس أدبيـــا ولم يكن لهـــا من دليـــل تذكره إلا أن محمد فريد والشيخ جاويش قدماه إلى القراء.

وقـــد كتبت صحيفة (ايجبت شـــاناخرشتن) الألمانية مقـــالا عنيفـــا تحمـــل فيه على الحكومة وتدافع فيه عن محمد فريد دفاعا لم تشهده أكثر الصحف العربيـــة وطنية ، وتساءلت عن الجريمة التى اقترفها وقررت أن مقدمة الكتـــاب لم تخـــرج عن كونها دراسة أدبية عامة ... وأن أكثر القصائد التى ضمها الكتاب كـــانت قـــد نشرت فى جريدة (اللواء) دون أن تتخذ الحكومة أى إجراء حيالـــها واســـتطردت تقول (إن الحكم على فريـــد بك نتيجـــة طبيعية لمـــا اختطته الحكومـــة لنفســـها من نهج خلال السنتين الماضيتين تجاه الصحف من إنذار وتعطيل وســـجن ونفـــى للكتاب والخطباء)[٤٤] .

وقد طالب « ريمون كولر » رئيس تحرير صحيفة (ليجبت) الخديـــو بـــأن يستعمل حقه فى العفو عن فريد بك ذاكرا أن الرأى العام جميعه والصحفيين خاصـــة يشاركونه هذا الرجاء ولكن (الايجبتشانا خرشتن) تذكر الحكومة بأنـــها لابـــد أن ترجع عن تصرفاتها حيال حرية الرأى وتنتهج لنفسها خطة جديدة تقوم على الأفكار الحديثة فى الحرية والتساهل وأن هذه الفرصة هى انســـب الفـــرص لاتخـــاذ هـــذا الإجراء الذى يكون له أثره الحميد بين مختلف طوائف الشعب المصـــرى فتطبـــق بذلك المثل القائل رب ضارة نافعة فربما كان هذا الحكم له أكبر النفع فى أن تعـــود الحكومة فتقرب ما بينها وبين الشعب الذى تحكمه ، أما الأهرام فقد علقت على تلـــك الأحكام بقولها « أن مثل هذا النوع من المحاكمات سيكون محضأة يحـــرك الجمـــر الذى غطاه الرماد ، رماد السكون والهدوء »[٤٥] .

وعلى الرغم من أن ديوان الشيخ الغاياتى صودر بمعرفة سلطات الاحتـــلال وبسببه قامت تلك الضجة الهائلة إلا أن الأعداد التى وصلت إلى يد النـــاس كـــانت كافية لامتداد استمرار لهيب الثورة الوطنية عن طريق التبادل أو الاستعارة ويبـــدو

أن الكتاب أعيدت طباعته أكثر من مرة بواسطة الوطنيين مـــن تلاميـذ الغايـاتى وأصدقاؤه ووصل سعره ثمنا باهظا[٤٦] بالقياس لأسعار المطبوعات فى تلك الفـــترة فكان من الطبيعى أن يتهافت الناس فى كافة أرجاء القطر المصرى على اختـــلاف انتماءاتهم السياسية على اقتناء نسخ من (المنشور الثورى) الذى أدى إلى تعديـــل قانون المطبوعات واقترن اسمه باسم زعيم الأمة (محمد فريد) .

وكما اقترن وطنيتى بـ (محمد فريد) - لأنه يعـد فـــى نظـر الكثـيرين السبب المباشر فى نفى الزعيم نفياً اختيارياً خارج مصـــر - فإنـــه ارتبـط أشـــد الارتباط بصاحبه وصار الاسمان متلازمين وإذا كان الغاياتى قد ارتفـــع بـــالديوان فوق هامات السائرين فى ركاب الإنجليز والأســرة العلوية الحاكمة فلا شـــك فـــى أن هـــذا الكتاب خلق من الغاياتى بطلاً قومياً ووطنياً لا نجانب الصواب إذا قلنـــا أنه وضعه فى مصاف زعماء الأمة الذين تبوءوا مكانة مرموقة فى نفوس الأهـــالى، بل اعتبر فى نظر بعض الكتاب أنـــه الباعث الحقيقى لثورة الشـــعب فـــى ١٩١٩ ولا عجب أن تفيض الصحف بالمآثر الوطنية الدافقة للغاياتى ولديوانـــه الشـــهير ، ولصحيفته التى أسسها فى القاهرة بعد عودته وليـــس أدل علـــى ذلـــك مـــن تلـــك الرســـالة[٤٧] التى يشيد فيها أحد المصريين من الطبقة المتوسطة بمنـــاقب الغايـــاتى وبما يشـــتمل عليه ديوانه من أشعار ونثريات كانت درساً بليغاً فى تربيـــة النـــشء إلى جانب انعكاساته الوطنية فيقول :

أنا ابن قولى وحسبى فى الفخـــار بـــه وأن غـــدوت كـــريم العـــم والخـــالى
فانظر لقولى تجد نفســـى مصـــورة فى صفحـــــة فقولـــى خـــط تمثـــال

« لقد قرأت كتاب وطنيتى للغاياتى فإذا به أجد نفساً عالياً عـــامرة بالإيمـــان الثابت زاخرة بالتفانى فى حب الوطن ... وقد لمست الرجولـــة الفـــذة والوطنيـــة الصادقة والإنسان الذى كان يفتش عنه الفيلسوف اليونـــانى (ديوجيـــن الكلبـــى) فالكتاب نفحة ربانية وتحفة أدبية ومشكلة وطنية وشعر رصين . ولو كـــان الأمـــر

بيدى لفرضت استظهاره على التلاميذ والتلميذات ، فلا أقل من أن يدخـــره الآبـــاء ويتخذوه نبراسا لتربية البنات والأبناء ليضمنوا للوطن أشبالاً أخيـــاراً وأمـــهات لا يقترفن الدنية ولا ينزلن إلى حضيض الرذيلة » .

هجرة الغاياتى خارج مصر :

اختلفت أقوال المؤرخين والكتاب فى سفر الغاياتى خارج الوطن فمنـــهم مـــن يسمى ذلك فراراً[٤٨] ومنهم من يطلق عليه هروباً أو ارتحالاً[٤٩] . وهنـــاك روايـــة تقول أن الغاياتى هرب من داخل السجن[٥٠] وهذا غير صحيح ولكن نـــأخذ بـــرأى الغاياتى نفسه فى أن ذلك كان فراراً ، وأنه كان فى السادس من يوليو ١٩١٠ .

عقد الغاياتى عزمه على السفر إلى تركيا ولم يكن يحمل معه جواز سفر يأذن له بمغادرة مصر ولا بدخول تركيا . ولكن لم يكن مثل هذا الجواز ضروريـــاً فـــى تلك الأيام ... وساقت الظروف للغاياتى ضابطا تركيا كان فى رحلـــة صيـــد فـــى السودان فتصادقاً معاً حتى وصلا إلى استانبول ودخلـــها فـــى حمايتـــه[٥١] . وفـــى الآستانة علم بأن الحكومة بدأت فى تفتيش المنازل والمكتبات والمحـــلات عـــن أى نسخة من الديوان كما علم أيضاً بمحاكمة الشيخ جاويش . وشاع فى أنحاء مصـــر بأن الغاياتى غادر الأستانة فى طريقه إلى سويسرا وذلك لأن الحكومـــة المصريـــة بعثت تطلب من الاستانة تسليمه إليها . وقد نشر الغاياتى قصيدة طويلة بعد أن علـــم بتفتيش البوليس لداره فى القاهرة يقول فيها :

فمـــاذا رأى العـــادون فى دارى التى أحـــن إليهـــا كلمـــا راح لامـــــع
لقد ابصروا الأقـــلام والكتب بينهـــا فياليتهـــــا أبصـــروها مدافـــــع

تولى على الغاياتى بعد وصوله استانبول رئاسة تحرير جريـــدة أسبوعيـــة كانت تصدر فى عاصمة السلطنة العثمانية تسمى (دار الخلافـــة) كـــان صـــاحب امتيازها (عبد الوهاب عبد الصمد) وهو شـــاب من طرابلس الغـــرب (ليبيـــا)

كانت له صلات وثيقة برجال الاتحاد التركى فى تركيا والحزب الوطنى فى مصـر. ومن المرجح أن الغاياتى كانت تربطه صداقـة بصاحب الجريـدة قبل مغادرته لها مصر . وكانت يخطط للعمل فيها عند سفره إلى تركيا إذ أنه كـان يحمـل رسـالة توصية من صاحب الجريدة فى القاهرة إلى وكيله فى الآستانة ليسند إليـه إحـدى الوظائف الصحفية بها . ولكن الغاياتى قام بتمزيقها خشية أن تقع فى يد أحد رجـال الضبط ، وولى الغاياتى مسئولية إدارة الجريدة ورئاسة تحريرهـا إذا كتـب علـى رأس الجريدة فى بداية عمله بها : المدير المسئول ورئيس التحرير هو الشـيخ (ع. غ.) ثم استعيض عن تلك الأحرف بعد قليل بالاسم الصريح (على الغاياتى) .

بدأ الغاياتى فى العاصمة التركية بشهر قلمه ضد الظلم والطغيان فكتب العديـد من المقالات النارية التى ندد فيها بالاستعمار الأوربـى للـدول الناشـئة وخاصـة الاحتلال البريطانى لمصر ، كما شن حملة شديدة علـى الحكـام الذيـن اسـتكانوا واتخذوا من الذل والهوان سبيلاً إلى عروشهم التى لا محال فهى زائلة . ولم تجـد تلك الكلمات بطبيعة الحال صدى فى نفس الخديو وسلطات الاحتـلال فـى داخـل مصر ، ومن هنا أصدرت السلطة قرارها بمنع دخول جريدة « دار الخلافة » إلـى القطر المصرى وجاء فى قرار ناظر الداخلية « حيث أن جريدة دار الخلافة التـى تطبع فى الآستانة اعتادت على نشر عبارات شديدة ماسة بسمو الخديو والحكومـة المصرية ونشرت فى عددها الصادر فى ٩ رمضان ١٣٢٨هـ/١٣ سـبتمبر سـنة ١٩١٠ قصيدة خطية فى سمو الأمير وتحريض للمصريين علـى الثـورة وسـفك الدماء ، الأمر المخل كل الإخلال بالأمن والنظام العام »[٥٢] .

وعلى الرغم من منع جريدة دار الخلافة من دخول مصر فقد استمر الشـيخ الغاياتى فى حملته على سياسة الاحتلال أيا كان نوعه وشبه طغيان الإنجلـيز فـى مصر بطغيان السلطان عبد الحميد فى تركيا ، وسار الغاياتى شوطاً أبعد من ذلك إذ

أن معظم أعداد (دار الخلافة) امتلأت بتمجيد ذكرى إبراهيم الوردانى الـــذى قـــام باغتيال بطرس غالى رئيس الوزراء المصرى فى عام ١٩١٠[٥٣] .

وقد نشر الغاياتى فى العدد السابق من نفس الجريدة قصيـــدة تحـــت عنـــوان (مصر ودار السعادة) يقول فى مطلعها[٥٤] :

دار الســـــعادة هـــــل أتـــاك مخبر يشكو لديك شـــــقاء مصر وينشـــــر

النيـــل من جمـــر المدافـــع فائـــض والوجـــــد فى أحشـــــائه يشـــــعر

لهفـــى على النيـــل الحـــزين وشعبه وفـــؤادى المغنـــــى بـــه يتقطـــــر

والتقى الغاياتى وهو فى الآستانة بـــ (محمد فريد) فى طريق عودتـــه مـــن أوربا إلى مصر وعرض عليه – من منطلق الوطنية – أن يعود معه إلى مصر لـــو كان فى ذلك تحسين لمركزه أمام القضاء المصرى ولكن فريد رفض هـــذه الفكـــرة ويقول الغاياتى عن ذكريات تلك الفترة : لقد ذهبت لزيارة فريد بك فى الفندق الـــذى يقيم به فدخل علينا بعض الضباط الشبان فى الجيش التركى ، فقدم فريد أحدهم إلـــى وهو يقول : (عزيز على المصرى) وكانت تلك المرة الأولى التى اتعـــرف فيـــها على ذلك الضابط وهو الذى عاد إلى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فشـغل منصب رئيس أركان حرب الجيش المصرى[٥٥] .

تكررت اللقاءات القليلة بين كل من الغاياتى و(محمد فريد) فـــى اســـتانبول وانتهت بأن عقد الغاياتى العزم على السفر إلـــى جنيـــف مســـتمعا إلـــى نصـــائح الزعيم[٥٦] بأنها أرض بكر لتعليم اللغة العربية للأجانب الذين يريدون تعلمها ولمـــا تهيأ للسفر إلى جنيف اهتم بتعلم اللغة الفرنسية . وكان قد بدأ يتلقى بعض الـــدورس فيها فى مصر فى مدرسة أنشأها الشيخ جاويش لتعليم الأزهريين تلك اللغـــة حتـــى يلموا بشئ من الثقافة الحديثة[٥٧] .

وصل الغاياتى إلى جنيف قادماً من الاستانه مساء يوم السبت ٢ ديسمبر سنة ١٩١٠ ماراً بفينا عاصمة النمسا . وقد اختار تلك المدينة بالذات ليبحث عن الشبان العرب الذين يتوقون إلى تعلم اللغة العربية ، كما عرفه بذلك محمد فريد . ولكن عدد أولئك الشبان القليل لم يكن يوفر لهذا المغترب المال الذى يعينه على الإعاشة، فيمم شطر جنيف وهناك استقبله أحد الطلبة المصريين الوطنيين ويدعى « خليل مدكور » واتخذ منه الغاياتى رفيقاً لدرب كفاحه ومعينا له على نوائب الدهر فى بلاد الغربة ، ومع ذلك فلقد كان إحساس الغاياتى بالغربة عن أرض الوطن فى بداية الأمر شديداً ، ونظم شعراً بالعامية قال فيه :

يا نيل أنا بأشكى الهوى من يوم ما شفتك فى هوان

حبك رمانى بالثرى ورماك بأشجانى كمان

واتجه الغاياتى إلى معهد يسمى معهد (لانس) لتعليم اللغة العربية وعرض نفسه على صاحبه وعمل فى هذا المعهد لفترة وجيزة تعرف فيها على الأمراء عبد المنعم وعبد القادر أبناء الخديو عباس حلمى الثانى[٥٨] وكانا قد قدما إلى جنيف للاستزاده من الدراسة فى المعاهد الأوروبية ، شأنهم فى ذلك شأن كافة الأمراء من الأسرة المالكة . وكان من بين الطلبة المصريين الذين عرفهم الغاياتى فى جنيف أيضاً شاب وطنى آخر يدعى (الأمير العطار)[٥٩] سبق أن عرفه فى مصر قبل هجرته وكانت خطيبته السويسرية هى الواسطة فى معرفة الغاياتى بخطيبته السويسرية أيضاً والتى صارت زوجة له طيلة حياته .

وبعد زواج الغاياتى من تلك السيدة الأوروبية بدأ يتطلع إلى تعلم اللغة الفرنسية بدرجة أكبر ليتمكن من الالتحاق بالجامعة وتقدم للالتحاق بكلية العلوم الاجتماعية وقبل طلبه ، حيث أنه تخرج فى معهد دمياط الأزهرى التابع للأزهر الشريف وكان الأزهر فى ذلك الوقت يعد من أكبر الجامعات العربية . وانتظم

الغاياتى فى حضور المحاضرات . وكانت زوجته تساعده فى فهم اللغـــة الفرنســية وإيضاح ما يستعصى فهمه . وبعد دراسة ثلاث سنوات تمكن خلا لها من اســتيعاب البرنامج المطلوب على أنه لم يتقدم للامتحان لأنه لم يستطع الوفاء بالتزاماته الماليـة بالنسبة للجامعة . وكانت الحرب العالمية الأولى قد قامت وقلـــت مـــوارده الماديـــة نظراً لسفر أكثر تلاميذه إلى بلادهم ، وأيضاً لغلاء المعيشة[٦٠] .

وكان أن شرع الغاياتى فى مراسلة صحيفة الحزب الوطنى فى مصر حينـذاك وهى (العلم) من مقر إقامته فى جنيف ، مقابل ثلاثة جنيهات فى الشـــهر كـــانت تساعده على مواجهة تكاليف الحياة هناك ، حتى يجد عملاً . ولكن لم يتلـــق ســـوى راتب شهرين فقط انقطع بعدها ورود الراتب إليه . وقد حزن حزناً شديداً ليس علـى انقطاع ذلك المورد المالى الهام ، ولكن لمعرفته سبب انقطاع تلك الجنيهات القليلـــة إذ علم فيما بعد أن أحد الأشخاص اقترح للدفاع عن محمد فريد أن يقال أن الغايـلتى كان مدسوساً عليه من الحكومة ، ويبدو أن هذا الاقتراح الطائش وأن كان قد رفض إلا أن الألسن تناولته ، الأمر الذى أدى إلى البلبلة . وفى ظل هذا التشـــويش رؤى أن يقطع صلة جريدة الحزب بالغاياتى ... (وهكذا يساء إلـــى الأبريـــاء برعونـــة البلهاء) ، إلا أن الغاياتى استطاع أن يحصل على قوت يومه عن طريـــق تدريـــس اللغة العربية لبعض الشباب العرب الذين كانوا يطلبون العلم فى جنيف .

كان الغاياتى فى أوربا ولكن عينه كانت على مصر ، اســـتلهم منـــها عشـــقه الأول ، إذ أن لهيب الوطنية لا يزال مستعراً فى فؤاده لم تصرفه خطوبه ونوائبـــــه الذاتية عن استجلاء أخبار معشوقته بنت وادى النيل . كان دمعه يجـــرى حـــاراً إذا أصابتها المدلهمات رافعاً أكف الضراعة أن ينقذها من هذا الابتلاء العظيـــم . ولـــم تتل من وطنيته تلك الأقاويل المغرضة فكان يشارك بقلمه وأفكاره فيما يقيل وطنـــه

من عثرته . وقد علم أنه بعد استقالة وزارة محمد سعيد وتشكيل وزارة حسين رشدى فى ٥ أبريل ١٩١٤ أن كثرت الفتن الحزبية والطائفية نتيجة تعدد الأحزاب فكتب مقالا إلى جريدة الأهرام تحت عنوان « الوحدة الوطنية المصرية»[٦١] يقول فيه :

« إننى أسألكم بحق مصر عليكم أن تدعو المصريين كافة إلى الاتحاد والوئلم بدل الانقسام والخصام وتبينون لهم ضرر تعدد الأحزاب وتفرق الكلمة وتشيرون عليهم بأن يستبدلوا بهذه الأحزاب حزبا واحدا هو حزب الوحدة الوطنية الذى يجب على كل مصرى عاقل أن يعمل على إيجاده والانضمام إليه حبا فى مصر وإنقاذا لها من الهاوية التى رماها فيها رامى الخلاف والتفريق والتى لا يمكن خلاصها منها ما دامت على هذا الحال »[٦٢] .

وقد علق رئيس تحرير الأهرام (فى نفس العدد الصادر فى ٨ إبريل سنة ١٩١٤) بكلمة بليغة أقر فيها الغاياتى على ما كتبه حتى لا يتدخل الإنجليز فى كل صغيرة وكبيرة فى البلاد ولأن الوحدة الوطنية المصرية هى وحدها سفينة النجاة بل سلم الرقى والنجاح والإخلاص فمن أحب مصر عمل لها وحدها دون سواها ومن كان حربا عليها كان حربا علىمصر لا يريد بها خيرا ولا يرعىفيها ذمة ولا آلا).

كانت البداية الحقيقية لعمل الغاياتى فى جنيف هى الاشتغال بالترجمة ومراسلة الصحف السويسرية التى كان أكثرها فى جنيف ، فعمل فى أكثر وأوسع صحفها مثل (تربيون دى جنيف) و (جورنال دى جنيف) و (لا سويس) كما راسل جريدة (جازيت دى لوزان) بمدينة لوزان وكانت تدفع له ثلاثين فرنكا عن المقال الواحد ولم يتوقف قلم الغاياتى فى الخارج عن التنديد بمن مالئوا الإنجليز وتواطئوا مع المحتل وداهنوا كبار الإقطاعيين . وهاجم الفساد الذى أخذ يستشرى فى الحياة الاجتماعية بين المصريين ويحثهم على النهوض لإزاحة المغتصب عن

أرض الوطن وتطهير تراب مصر الطاهر من الدنس والأوحال ، ولقد أصابت لعنة الوطنية التى اشتهر بها الغاياتى معظم الجرائد والصحف التى عمل بها فكانت السلطات المصرية لها بالمرصاد ومنعت دخولها إلى القطر المصرى (لأنها تنشر أموراً ماسة بكرامة ولى النعم)[٦٣] . ومع ذلك لم تسارع تلك الجرائد بفصل الغاياتى من العمل بها أو تجميد نشاطه الوطنى أو قصف قلمه بل ازداد قدرة ورسخت أقدامه وصارت تلك الصحف هى المورد المادى الثابت له إذ أصبح يتقاضى من (تريبون دى جنيف) مرتباً شهرياً قدره ٣٠٠ فرنكا بعد أن كان يتقاضى مكافآت عن القطع التى يقدمها فقط للجريدة ، وقد ظل الغاياتى فى هيئة تحرير هذه الجريدة عشرة أعوام من ١٩١٤ – ١٩٢٤ وأصبح كسائر محرريها عضوا فى نقابة صحافة جنيف[٦٤] .

عندما قامت ثورة الشعب فى مصر عام ١٩١٩ تولى الغاياتى الدفاع عنها والدعوة لها فى الخارج الأمر الذى أثر تأثيراً بعيداً فى دخله المادى إذ قل ما كانت تنشره له الصحف السويسرية . وكان النشاط الصحفى محجوراً عليه فى مصر والخارج أبان الحرب العالمية الأولى كما أنه لم يكن هناك مجال لإصدار صحف مصرية فى أوربا خاصة بعد أن بدأت الحياة فى مصر تستقر فى الداخل وعندئذ أصدر الغاياتى لحسابه الخاص جريدة عربية فرنسية أطلق عليها بالعربية (منبر الشرق) وبالفرنسية (La Tribune d'orient) وكان رياض الصلح (رئيس وزراء لبنان بعد الحرب العالمية الثانية) قد اقترح عليه أن يسميها منبر العرب ولكن الغاياتى فضل أن تكون جريدة لسان حال حركات التحرير فى الشرق كله وكانت جريدة (تريبون دوريان) تجربة فريدة فى تاريخ الصحافة إذ كانت تصدر فى أربع صفحات ثلاث منها باللغة الفرنسية والرابعة بالعربية ولما لم يكن فى جنيف مطبعة عربية كان الغاياتى يكتب هذه الصحافة بخطة ثم تحفر على الزنكوغراف فإذا ما وقع فيها أى خطأ لم يشطبه بل يعيد كتابة الصفحة من أولها

إلى آخرها ، ويبدو أن هذا الجهد أضناه فاشترى حروف مطبعة عربية من ألمانيـــا وتولى بنفسه جمع حروف الصفحة العربية ولكنه لم يجد لـــهذه الصفحـــة العربيـــة صدى عند العرب مثل الصفحات الثلاث الأخرى فاكتفى بإصدارها باللغة الفرنسية. وقد نمت الجريدة وترعرعت وانتشرت فى الشرق والغرب وبات لها اسم معـــروف لا سيما فى مركز عصبة الأمم . ويرجع نجاحها كما يقول صاحبها إليه وإلى بعض البيوتات التجارية فى جنيف والتى أمدته بإعلاناتها .

صدرت (منبر الشرق) بالفرنسية يوم الأحـــد ٥ فـــبراير ســـنة ١٩٢٢ ، ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠ واستمرت تصدر فى انتظام حتى يوم الأربعاء ٢٦ مـــايو سنة ١٩٣٦ (١٦ ربيع أول سنة ١٣٥٦) وسط صعوبات مالية وسياســـية بالغـــة الشدة صمد الغاياتى لها فى استبسال وصبر . ذلك أنه لم يلق من المصريين التـــأييد والمعونة الكافيين فى وقت كانت مصر فى أشد الحاجة إلى مثل هذه الجريدة التـــى سما بها صاحبها فوق الخلافات الحزبية ، لتبقى خالصة للوطن ولمصلحة مصـــر ، وأن يكون الشرق للشرقيين . وقد أعلن الغاياتى فى صدر الجريـــدة أنـــها جريـــدة نصف شهرية أنشئت للدفاع عن حقوق الشرق الناهض تصدر بالعربية والفرنســـية فى جنيف مركز جمعية الأمم ، وأن الاشتراك السنوى فى سويســـرا هـــو عشـــرة فرنكات ، وفى الخارج عشرون فرنكا وحظيت شئون مصر السياسية والاجتماعيـــة بالقدر الأعظم من أبواب الجريدة[٦٥] . وفى العدد الأول من الصفحة العربية يبيـــن الغاياتى الهدف من إنشاء الجريدة بقوله « هى صحيفة شرقية همـــها الدفـــاع عـــن حقوق الشرق الناهض وتقريب المسافة بينه وبيـــن الغـــرب ذى القـــوة والســـلطان والبطش والعدوان . ولما كانت جنيف هى مركز جمعية الأمم ومرصد سياسة العالم فقد كان من الواجب فيها المبادرة بنشر تلك الجريدة لتحمـــل إلـــى هـــذه الجمعيـــة المباركة ما قد لا تعلمه من آلام الشرقيين وآمالهم وتساعد على القيام بمعالم العـــدل ونشر لواء الإخاء والسلام بين الأمم والشعوب » .

أما المقالة الثانية للغاياتى فى الصفحة العربية من العدد الأول الصادر فـــى ٥ فبراير ١٩٢٢ فكانت تحت عنوان (سعد باشا) حيث كان سعد زغلول فـــى منفـــاه مع خيرة صحبه ، وكيف استقبله شعب وادى النيل قبل عشرة أشهر . ثم ينظم فيـــه قصيدة طويلة يقول فيها :

نظمـــوا فيـــك أيهـــا العلـم ... دراً قيـــل أنهـــا كلـــم
وهـل عنـــدى أجـــل جوهـــرة ... حملت تـاج مصـر لـــو علمـــوا
بـك يا سـعد هـــام شـاعرهـــم ... مثلمـــا هـــام النيـــل والهـــرم
وجـــرت فيـك من قصـائدهـــم ... أبحـــر من النـــور والحكـــم
طـال عهـدى بموقـف الشـــعرا ... ء وبينـــى وبينهـــم ذمـــم
أن نسـونـى فمـا نسـتهمـو ... أو جفـونـى فمـا جفوتهمـو
إن أمـت أو أعيـش بقيـت على ... العهـد أشـقى بـه وقـد نعمـوا
هيـج النفـس ذكـر مصـر فبـا ... ت عصـى القريـض ينتظـم[٦٦]

وقد ظهرت (منبر الشرق) فى وقت كانت المنطقة العربية تغلى كالبركـــان تحت وطأة قرارات التقسيم التى شملت معظم الشرق العربى من جـــراء اتفاقيـات سايكس بيكو وسان ريمو بين الدول الاستعمارية الكبرى . ولم يكـن ثمـة متنفـس للحريات سوى تلك الرئة فعن طريق جريدة الغاياتى أمكن للعديـد مـن صيحـات الاستنكار أن تصل إلى أوربا . ويعلق على ذلك أحد الشباب العرب عندما أرســل بمقال إلى (منبر الشرق) قائلاً : « لقد أجابنى على الغاياتى بإن الجريدة جريدتكـم والمنبر منبركم ومنبر كل شرقى وعربى يعمل للشرق وللعرب ... لقد كانت مصـر فى هوجاء اضطرابها السياسى ومعمعة حركتها الوطنية ، وكانت ســوريا مســرحاً لحوادث دامية ، وكان لبنان غارقاً إلى قمته فى سياسة قائمة على الأحلام والأوهام،

وكان العراق ينتقل من ثورة إلى ثورة . فى ذلك الوقت العصيب صـــدرت جريـدة منبر الشرق فى ١٩٢٢ فى جنيف فكانت أشهر الصحف للآراء الوطنية وصفحاتـها ميدانا لتلك الأحاديث ، تفتح صدر صفحاتها لحملة الأقلام من المشتغلين بالسياســة المصرية والشرقية[٦٧] .

وهكذا ظل الغاياتى يناضل بقلمه خارج الوطن ، وينفعل مع الأحـداث التـى تدور داخل مصر ، فيكتب عنها مهاجما الخلل ومظاهر الضعف مؤيداً ومشجعاً مـا يستحق التأييد ، ثم لا يفتأ يقوم بعقد الندوات الطوال للمصريين والعـرب ، لشـرح وتفسير ما ينغلق من الأحداث السياسية على الساحة العربية ، ولـم يمـض وقـت طويل حتى صار الغاياتى من ألمع الصحفيين العرب بل لقد حقق لنفسه شهرة تفـوق نظرائه من الأوربيين ، فكان المتحدث الرسمى بلسان العرب وغدت (منبر الشـرق) بمثابة وكالة أنباء رسمية احترمتها الصحف الأخرى نظراً لمكانة صاحبها وصلاتـه الوثيقة برجالات (عصبة الأمم) فى جنيف . ويقول (أحمـد حسـين) (مصـر الفتاة)[٦٨] عن جنيف ومكانة الغاياتى فيها بأنها (كانت بحق عاصمة العالم الدوليـة فهى مدينة المؤتمرات لا ينفض فيها مؤتمر حتى ينعقد مؤتمر ولا يغادرهـا عظيـم من رؤساء الحكومات أو وزراء الخارجية أو كبار الكتاب حتى يفد عليها عشـرات من هذا الطراز) وكان أحمد حسين قد أعد رسالة ليقدمها إلى سـكرتارية عصبـة الأمم عن طريق الغاياتى فكان إذ ذاك موضع ترحيب وإجلال مـن كـل موظـف هناك، وكان الناس يحيونه فى الطريق تحية الحـب والتقديـر ... ومـا أن سـلم الغـاياتى هذه الرسالة إلى مندوب وكالات الأنباء حتـى نشـرت فـى عشـرات الصحف والمجلات ، وأصبحت دار الغاياتى هى « السفارة المصريـة » يقصدهـا المصريون والعرب على اختلاف مشاربهم ودياناتهم ويفد إليها أصحاب الحاجـات ومحترفى السياسة والوطنية . وكان الغاياتى يسرف فى الحفاوة بزواره وقاصديـه خاصة أبناء وطنه ويتفانى فى تقديم الخدمات لهم . وعلى الرغم مـن غربـة هـذا

السياسى الغيور إلا أن صورة مصر لم تبارح فؤاده أو عينيه ، فلا ينفـــك يحـدث رفاقه عن مصر ونيلها ، فإذا سمع غناء مصريا هطلت الدموع من عينيه فاجتاحتـه نوبات الحنين(٦٩).

ولم تنج (منبر الشرق) الجنيفية من اضطهاد السلطات المصرية ، فمنعتـــها من الدخول مثل غيرها من الصحف التى عمل فيها الغاياتى من قبل ، وجـــاء فـى نص قرار وزير الداخلية (إن جريدة تربيون دوريان) التى تطبع بمدينـــة جنيـف تنشر فيما يتعلق بمصر وحكومتها وولى أمرها أخبارا تتعمد فيها تشـــويه الحقـائق تشويها من شأنه تضليل الأفكار والإخلال بالأمن والنظام العام . وبناء على المـــادة ١٧ من قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ وعلـــى قـرار مجلـس الوزراء الصادر فى ٢ مارس ١٩٠٩ تقرر منع دخول الجريدة المذكـــورة وعـدم تداولها وبيعها فى القطر المصرى(٧٠) .

ولم يكن قرار منع جريدة الغاياتى من دخول مصر بالأمر السهل أو اليســير على نفسه ، إذ شق عليه أن تقابل جهوده فى الخارج بمثل هذا الإنكار ، كما حـزن كثيرا لقطع صلة الهمز بينه وبين أبناء وطنه وســـاءه أن ينصـــرف عنـــه معظـم الوطنيين من الساسة والصحفيين الذين بدءوا يتخذون من سياسة الحيـــاد الإيجـابى سبيلا لهم بعد أن توصلت سلطات الاحتلال إلى اتفاق ٢٨ فـــبراير ١٩٢٢ والـذى كان ظاهره مصلحة مصر والمصريين وباطنه تمكين بريطانيا من إحكام قبضتـــها على البلاد . ومع ذلك استمر الغاياتى فى تأدية رسالته القومية تجاه مصـــر خـارج الحدود، موضحا مساوئ تلك الاتفاقية وليكشف زيف وأباطيل قادة بريطانيـــا ، ثـم يوجه الدعوة من جديد للمصريين لاستنهاض هممهم مستعيدا ذكريات ثـورة ١٩١٩، ويحيى رموزها الوطنية ثم يوجه العتاب إلى حكام مصر وإلى الباب العـــالى كـى يتمسكوا بحقوقهم فى السيادة الفعلية على البلاد . وفى محاولة يائسة مـــن الغايـاتى كى تفتح مصر ذراعيها لقلمه يقول فى التماس بتاريخ ٢٠ أغســـطس ١٩٢٧ (إن

جريدتى منبر الشرق التى أصدرها هنا (جنيف) منذ ستة أعوام هى صوت مصـــر الوحيد الذى يرتفع فى جو أوربا وصحيفة المصريين الفذة التى تنشر فـــى الغـــرب وفى جنيف مركز جمعية الأمم ... هذه الجريدة التى يجدر بالمصريين وحكومتـــهم السنية تشجيعها ومعاضدتها أصبحت اليوم فى أزمة شديد مـــن جـــراء الإهمـــال المعيب التى صادفته من ذوى الشأن بمصر)[٧١] وفى التماس آخر فى ٢٧ ســبتمبر سنة ١٩٢٧ يستحلف الغاياتى حكام مصر بترابها الغالى أن يتركوا البـــاب مواربـــاً لإسماع صوته ويرجوهم فى إباء وكبرياء اتصال ما انقطع فقـــط (أمـــا الصحيفـــة فليست فى حاجة إلى العون المادى)[٧٢] .

وبعد انقضاء ثلاث سنوات على الحكم الصادر ضد الغاياتى وسقوط العقوبـــة عنه ، جرفه الحنين لزيارة مصر ، فعرض على بعض الصحـــف السويســـرية أن يكتب تحقيقاً عن الحالة فى منطقة قناة السويس – وكانت آنئذ ميداناً هاماً من ميادين القتال فى الحرب العالمية الأولى – فرحبت تلك الصحف بذلك الاقتراح ، وأذنت له السلطات المصرية بالدخول . ولكن بعد سبعة أيام تم إلقاء القبض عليـــه وأخـــرج منها، وهو لا يدرى لماذا سمحت السلطات البريطانية بدخوله البلاد إذا كانت تشـــك فى نواياه . ولما عاد الغاياتى إلى جنيف شن حملة شديدة على حسين رشدى رئيـــس الحكومة فأرسل إليه رشدى يقول : « إن صدرى معرض للرصاص ، فلا تـــهمنى حملات الأقلام »ولما تقابل الغاياتى مع رئيس الحكومـــة المصريـــة قـــال لـــه أن المصـــريين يتهمونك بأنـــك خنت ولى نعمتـــك الخديو عبـــاس حتى تم عزلـــه ، فقال رشدى بل إن الخديو رفض العودة من استانبول دون إيعاز منى . فقـــال لـــه الغاياتى : « ها أنت تتهم بالبـــاطل فتغضب وأنت تصدق ما ينســـب إلى من تـــهم بلا سند ولا دليل »[٧٣] .

أما المرة الثانية التى حاول فيها الغاياتى زيارة مصر فكانت فى عـــام ١٩٣٣ وفيها اصطحب كبرى بناته (جميلة) ، وقد أمضى فى الزيارة الثانية شهراً قضـــاه

على ضفاف النيل فلما غادرها بكاها وطار فؤاده شوقاً إليها وهاله ما رأى فيها من سوء الأحوال السياسية الحزبية فأنشد يقول :

وما الأحزاب مسعدة ولا زعماؤها الكثر
إذا ما طاب للباغى بمصر الكر والفر
فلا الدستور فى أمن ولا الوزراء والقصر
ولا استقلال فى بلد به العادون قد قروا
ولولا أننا شيع يحارب شطرنا الشطر
ما أضحى لهم ظل ولا أمسى لهم نكر[٧٤]

عودة الغاياتى إلى مصر :

بعد أن قبلت مصر عضوا فى عصبة الأمم خيل للغاياتى أن دوره فى أوربا قد انتهى ، وأن بلاده قد تكون فى حاجة إليه ، فقرر العودة نهائياً مع أسرته بعد غربة استمرت ٢٧ عاماً . وكان الأمل معقوداً على أن يعمل فور عودته بوظيفة حكومية فى وزارة الخارجية . ويبدو أن على ماهر رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت وعده بتعيينه فى السلك الدبلوماسى ثم تهرب من هذا الوعد ، فطلب منه الغاياتى فى التماس له (بضرورة الوفاء بما قطعه على نفسه)[٧٥] . ولكن الغاياتى لم يكتب له النجاح فى هذا السبيل لأسباب كان يعلمها الاحتلال واذناب الاحتلال[٧٦] . وكان أول مقال كتبه بعد وصوله إلى مصر تحت عنوان (الملك المحبوب) . وعلى الرغم من أن المقال كان تهنئة وثناء على الملك إلا أنه لم يكن مدحاً ولا نفاقاً وإنما كانت تغشاه روح الانتماء للنيل والوطن[٧٧] .

تقدم الغاياتى للحكومة - وكانت وفديه - آنذاك بطلب للترخيص له بإصدار صحيفة ، إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض ، ثم شاءت الأقدار له أن يصبح محرراً

المبادئ التى جند قلمه وروحه من أجل الدفاع عنها ، ولقى فى سبيلها كـــل عنـــاء وشقاء مضحيا فى سبيل رفعة مصر وإعـــلاء كلمتها فى الداخـــل والخـــارج بكـــل غـــال ، فيقول الشيخ محمود شلتوت من هيئـــة كبـــار العلمـــاء والمـــدرس بكليـــة الشريعة فى ذلك الوقت :

« تحية مخلصة من رجل يقدر إيمانك ووطنيتك . وليس الناس بحاجـــة إلـــى إقامة شاهد على تبوئك تلك المنزلة السامية ، فكل النـــاس يعرفـــون الشـــيخ علـــى الغاياتى ، وكيف أخرج من ديارة وأمواله بغير حق ، إلا أن يقول وطنيتى وطنيتـــى ... أنشأ له مملكة إسلامية فى بلاد لا تدين بالإسلام .. وأخذ وهو فى بيئته الجديـــدة يرسل دعوته الصافية الصادقة عن طريق « منبر الشـــــرق » بلغـــة القـــوم « أى الفرنسية » ففتح للإسلام عيونا . وظل يكافح حتى عاد إلى بلاده فآب إليها يحمـــل نفس القلم ، وزاد فى إشراق قلبه ذلك المجهود الجبار الذى كان يبذله عن إخـــلاص فى سبيل وطنه ودينه فى بلاد لا تؤمـــن بوطنيـــة فـــى مصـــر ولا بســـعادة فـــى الإسلام»[٩٤] .

وفى ٢٧ أغسطس ١٩٥٦ – فى عهد الثورة – تقرر وقف إصـــدار جريـــدة «منبر الشرق» وشطب اسمها من قائمة الصحف المصرح بإصدارها فى مصر[٩٥]. وكان الغاياتى قد ارتفعت روحه قبل ذلك بأيام معدودة فلم يشهد تلك الخاتمة المؤلمـة لذلك المنبر الذى كان فى حقيقة أمره قلعة لحرية الشرق ، وحرية العرب ، وحريـــة مصر .

(٦١) إبراهيم عبده ، جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ٣٣٥ ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٤ .

كانت الأحزاب الموجودة على الساحة السياسية فى مصر هى : الإصلاح على المبادئ الدستورية ، الوطنى ، الأحرار ، الدستورى ، النبلاء ، المصرى ، الأمة

راجع د. يونان لبيب ، المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٧١ .

(٦٢) جريدة الأهرام ٨ أبريل ١٩١٤ .

(٦٣) دار الوثائق : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٦٠٠ ، قصاصات وجرائد عربية ١٩٠٨ - ١٩٤٦ بشأن منع جريدة (لا سويس) فى ١٨ يوليو ١٩٢٢ ومنع جريدة (تربيون دى جنيف) من دخول القطر المصرى لأنها نشرت مطاعن ماسة بكرامة ولى الأمر ، فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٢ .

(٦٤) منبر الشرق ، ص ١ ، العدد ٢٣٠ ، فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ .

(٦٥) منبر الشرق ، العدد ١٣٨ ص ١ ، ٧ فبراير سنة ١٩٤٠ .

(٦٦) د. مختار الوكيل : المرجع السابق ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٦٧) منبر الشرق ، فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٣ ، رسالة من أحد المواطنين العرب للجريدة بتوقيع ح. ج.

(٦٨) فتحى رضوان ، المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .

(٦٩) د. مختار الوكيل : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٧٠) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة الداخلية ، صحافة ومطبوعات مختلف ١٨٧٨ - ١٩٢٣ .

(٧١) دار الوثائق : محافظ عابدين ، محفظه رقم ٦٠١ ، جرائد ومجلات عربية من ١٩٠٨ - ١٩٦٤ التماس من على الغاياتى إلى السلطات المصرية .

(٧٢) المصدر السابق ، التماس من الغاياتى إلى الحكومة المصرية بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٢٧م .

(٧٣) د. مختار الوكيل : المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

(٧٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

(٧٥) دار الوثائق : محافظ عابدين ، محفظه رقم ٦٠٠ قصاصات جرائد عربيـــة ١٩٠٨ - ١٩٤٦ خطاب من على الغاياتى إلى على باشا ماهر فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٨ .

(٧٦) منبر الشرق ، ص ١ ، عدد ٨٦١ فى فبراير سنة ١٩٥٦ .

(٧٧) جريدة الجهاد ، فى ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ .

(٧٨) جريدة السياسة ، ص ١ فى ٢ أبريل سنة ١٩٣٨ .

(٧٩) المصدر السابق ، ص ١ ، فى ٣ أبريل سنة ١٩٣٨ .

(٨٠) جريدة السياسة ، ٦ أبريل سنة ١٩٣٨ .

(٨١) وزارة الداخلية : إدارة الصحافة والمطبوعات ، دوسية رقم ١١ ، ٢٩٢/٢ الخـــاص بجريدة منبر الشرق مستند رقم ٣ .

(٨٢) جريدة البلاغ ، فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٧ .

(٨٣) الهيئة العامة للاستعلامات ، إدارة الصحافة والمطبوعات ، ســـجل رقـم ١٠ لقيـد الصحف المصرح بإصدارها فى مصر تحت مسلسل رقم ٥٠٩

(٨٤) منبر الشرق ، عدد ٢٤٧ ، فى ٢ إبريل ١٩٤٣

(٨٥) منبر الشرق ، ص٣ ، ١٦ إبريل سنة ١٩٤٣ مقال تحت عنوان « الوطنية » بتوقيـع سعيد محمد رمضان كلية حقوق القاهرة .

(٨٦) منبر الشرق ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ .

(٨٧) المصدر السابق ، ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، افتتاحية بقلم الشـــيخ الغايـاتى تحـت عنوان « قضية العرب والعروبة » .

(٨٨) العدد السابق ، عد ٨١٥ ، ٢١ يناير سنة ١٩٥١ .

(٨٩) المصدر السابق ، عدد ٨٥٨ ، فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٦ .

(٩٠) المصدر السابق ، فى ٧ مايو ١٩٤٣ ، افتتاحية الجريدة بقلم على الغايـــاتى تحـت عنوان « القانون والعلاقات الدولية » .

(٩١) المصدر السابق ، فى ٧ ديسمبر ١٩٤٣ ، افتتاحية بقلـــم الغايـاتى تحـت عنـوان (مؤتمر القاهرة) .

(٩٢) المصدر السابق ٢٢ أكتوبر ١٩٤٣ افتتاحية العدد (ركن الذكريات) بقلم الغايـــاتى فى رثاء الشيخ على يوسف .

(٩٣) المصدر السابق فى ٧ ديسمبر ١٩٤٣ افتتاحية بقلم الغاياتى تحت عنوان « مؤتمـــر القاهرة » .

(٩٤) منبر الشرق ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ رساله فضيلة الشيخ محمـــود شـــلتوت إلـــى «على الغاياتى» صاحب الجريدة ملحوظة تولى الشيخ شلتوت مشيخه الأزهر فـــى نهاية الستينيات وأوائل السبعينيات .

(٩٥) الهيئة العامة للاستعلامات ، سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح بإصدارها فـــى مصر تحت رقم ٥٠٩ .

(٤٥) رسالة من محمد ابن مشيش ، عامل الدار البيضاء ، إلى محمد بركاش ٢٨ محـــرم ١٢٨٢هـ (٣ يوليو ١٨٦٤م) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ، وثيقـــة رقـم ٥٥٤ ، ص٣٢٧ .

(٤٦) رســـالة من أشـــعاش إلى محمـــد بـــركاش ١٤ ربيـــع الثـــانى ١٢٨١هـــ (١٦ سبتمبر ١٩٦٤م) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، وثيقة رقم٦٥٠ ، ص١٠٠ .

(٤٧) انظر الوثيقة المستخدمة فى هامش ٤٦ .

(٤٨) انظر شروط المعاهدة فى عبد الرحمن بن زيدان ، مرجع سابق ، الجزء الخـــامس ، ص١٩٥.

(٤٩) رسالة من محمد بن العربى الطريس إلى محمد بركاش ١٥ ربيع الثانى ١٢٩٧هـــ (٢٢ مارس ١٨٨٠م) ، الوثائق ، الجزء السابع ، وثيقة رقم٩٠٤ ، ص١١٢ .

(٥٠) رسالة من عمارة بن الصادق البخارى إلى محمد بركاش ١٠ شـــعبان ١٢٩٣هـــ (٩أغسطس ١٨٧٨م) ، الوثائق ، الجزء الخامس ، وثيقة رقم٦٥٠ ، ص١٠٠ .

(٥١) عبد الوهاب بن منصور ، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب ، ص٦٥ .

(٥٢) رســـالة من محمـــد بركاش إلى القنـــاصل فى ٢٧ ربيـــع الأول ١٢٩٦هـــ (٢١ مارس ١٨٧٩هـــ) ، الوثـــائق ، الجـــزء الخـــامس ، وثيقة رقم٦٦٢ ، ص١٦٠.

(٥٣) أحمـــد توفيـــق . المجتمـــع المغربى فى القـــرن التـــاسع عشـــر اينولتـــان (١٨٥٠ – ١٩١٢) ، الرباط : كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٨٣ ، ص٣٧٨.

(٥٤) رسالة من المكى بن محمد بن عبد السلام إلى نائب الدولة الأمريكية ، ويليم لويـــس william Lewis١١ رجب ١٣٠٤هـــ (٦ إبريـــل ١٨٨٧م) رســـائل القنـــاصل بالأمريكيين بالمغرب – ميكروفيلم رقم ١٥ – مجموعة ٥٩ ، الأرشـــيف القومـــى الأمريكى ، واشنطن .

(55) Mohammed Kenbib, Op. Cit, p. 218.

(٥٦) لمزيد من المعلومات انظر المعاهدة المغربية الإنجليزيـــة ســـنة ١٨٥٦ فـــى عبـــد الرحمن بن زيدان ، مصدر سابق ، الجزء الخامس ، ص١٩٥ وما بعدها .

(57) Mohammed Kenbib, Op. Cit, p. 220.

(٥٨) انظر سورة البقرة : الآيات ٢٧٨ – ٢٧٩ .

(٥٩) وردت تلك الإحصائية فى رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمـــن إلـــى محمـــد بركاش ٢١ شوال ١٢٨٦هـــ (٢٤ يناير ١٨٧٠م) ، الوثائق ، الجـــزء الرابـــع ، وثيقة رقم٥٧٩ ، ص٣٨٩

(60) Mohammed Kenbib Op. Cit, p. 192.

(61) Turki Ajlan Al. Harithi, Moroccan Policy Towards the United States. A Study in Moroccan Society Under the Impact of Western Penetration. 1830-1912. Ph. D. Thesis U. K. Exeter University, 1987. P. 187.

(٦٢) عبد الرحمن بن زيدان ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص٤٣٠ .

أيضًا انظر : Mohammed Kenbib, Op. Cit, p. 210.

(63) Turki Ajlan Al. Harithi, Op. Cit., pp. 213-215.

(٦٤) خالد بن الصغير : المغرب وبريطانيا العظمى فى القرن التاســـع عشـــر ١٨٥٦ – ١٨٨٦ ، الرباط : جامعة محمد الخامس ١٩٩٧ ، ص ص٢٦٥ – ٢٦٦ .

(٦٥) انظر هامش رقم ٢٣ .

(٦٦) خالد بن الصغير : ص ص٢٧٠ – ٢٧١ .